ت: نبيل.نقمي

"صوت الأحرار" تزور مواقع التجارب النووية بصحراء الجزائر

نقطة الصفر برقان.. شاهد على جريمة فرنسا

لا تزال التجارب النووية التي قامت بها فرنسا في صحراء الجزائر بداية من سنة 1960 تشكل هاجسا في حياة سكان منطقة رقان، الحديث عن القنبلة النووية لا يكاد ينقطع، في المنازل، في الشوارع والطرقات، وفي كل مكان، لتصبح الحادثة بمثابة خاصية تميز هذه البقعة عن غيرها من البقاع، جيل شاهد عن يوم 13 فيفري تاريخ أول تجربة نووية وجيل آخر سمع عنها ولا يفقه عنها الكثير، يجهل عواقبها وتأثيراتها ولا يملك سوى مخاوف تسيطر على في كيانه، ربما خطر الإصابة بالسرطان أو إنجاب أطفال معوقين أو حتى أمراض أخرى لا يعرفها أحد، المصير يبقى مجهولا في ظل غياب دراسات علمية دقيقة حول الموضوع، في زيارة ميدانية لـ ″صوت الأحرار″ إلى مكان الجريمة، التقينا عددا من الشهود ما يعرف بـ العيان الذين عاشوا ما يسمونه ″اليوم الأسود″، كما زرنا القاعدة الجوية لرقان، وغيرها من المواقع التي قادتنا في نهاية المطاف إلى نقطة الصفر بمنطقة ″الحمودية″ التي تبعد عن بلدية رقان بحوالي 60 كيلومتر.

روبورتاج: عزيز طواهر

القاعدة الجوية برقان

● الطريق إلى رقان شبيه بالرباط ″الجهاد″، فما بالك بالعيش في هذه المنطقة التي شاء لها القدر أن ترسى رمالها في أرض فلاة، صحراء قاحلة ينطلق عنانها على مد البصر، بين عرق ورق، احمادة تمتد على مئات الكيلومترات، لا شجر ولا بشر، كل ملامح الحياة تختفي وربما الحياة نفسها في تصور المتأمل لتلك المناظر قد تنتهي، لتبقى المفارقة قائمة لا ريب، في وقت استطاعت فيه شعوب وقبائل أن تسكن هذه المناطق الجرداء، تشيد بها قصورا وتصنع حضارات، تكابد في تلك الصحاري العجفاء، تستخرج الماء وتزرع النخيل وتجني التمور وتقاوم الحر الشديد وتحيا رغم قساوة الطبيعة دون التفكير ولو للحظة في هجر الديار.

سميت ″رقان″ نسبة إلى الشيخ مولاي عبد الله الرقاني شيخ زاوية الرقانية، كان مصلحا في هذه المنطقة، يكرم الضيوف ويوفر الحماية للقوافل التي تعبر الصحراء، يؤاخي بين المتنازعين المنتمين لمختلف القصور، ويقال إنه من نسب الرسول الكريم محمد ″صلى الله عليه وسلم″، ولد عام 1093 ولم يعمر أكثر من 60 سنة، وتقع رقان في منطقة توات الكبرى الممتدة من حدود ولاية البيض شمالا حتى ولاية تمنراست جنوبا.

بمجرد أن اختزلنا رحلتنا انطلاقا من الجزائر العاصمة بالنزول في مطار تيميمون التابع لولاية أدرار تقرر خوض مسار طويل عبر الصحراء، حيث قطعنا قرابة 200 كيلومتر لنصل بعد ساعتين من الزمن إلى بلدية أدرار التي تبعد عن العاصمة بـ 1500 كيلومتر، هذه البلدية كانت بمثابة نقطة استراحة لمدة يومين تقريبا ارتأينا خلالها أن نلتقي بعدد من المسؤولين هناك، بهدف الإطلاع على تأثيرات التجارب النووية على البيئة والفلاحة في المنطقة ككل، كما سمحت لنا تلك الزيارة بإجراء اتصالات تسهيلا لمهمتنا المبرمجة برقان.

في اليوم الموالي استقلينا الحافلة نحو رقان، لنقطع مسافة مقدرة بحوالي 150 كيلومتر في طريق كله صحراء، مرورا ببعض البلديات التي رأت الحياة في ظل واحات مهددة بارتفاع المياه المالحة المعروفة على مستوى المنطقة بـ″السبخة″، وفي حدود منتصف النهار الوصول إلى مدينة رقان – وبهدف كسب الوقت – كان لا بد من التوجه مباشرة إلى القاعدة الجوية لرقان، التي تبعد بدورها عن مقر البلدية بما يقارب سبعة كيلومترات.

القاعدة الجوية لرقان المتواجدة في صحراء قاحلة، تحدها أسوار من أسلاك وتقع بمنطقة مرتفعة تسمى بـ ″الترقية″ تمتد بطريقة أفقية موازاة مع مدينة رقان التي تتربع على مساحة 124298 كيلومتر مربع وتضم تعددا بشريا يقدر بـ 20176 نسمة وتتقاسم حدودها مع كل من بلديتي أولف وأقبلي التابعتين لولاية تمنراست، شرقا جمهورية موريطانيا، ولاية

الأسلاك المحيطة بنقطة الصفر

تندوف غربا، بلدية سالي شمالا وبرج باجي مختار جنوبا.

فرنسا أنشأت أنفاقا للتجارب داخل القاعدة الجوية بالترقية

الدخول إلى قاعدة رقان الجوية كان بترخيص من وزارة الدفاع الوطني بهدف زيارة مختلف المواقع على مستوى هذه القاعدة، هناك التقينا عددا من المسؤولين العسكريين المرابطين بعين المكان المنتمين إلى جهات مختلفة من الوطن، القاعدة العسكرية تمتد على مساحة شاسعة جدا وهي مفتوحة على الهواء وبحكم تواجدها على هضبة الترقية، فبإمكان القائم هناك أن تقابله صحراء لا نهاية لها اختارتها فرنسا الاستعمارية لإجراء تجاربها النووية.

بداية الزيارة للقاعدة الجوية كانت بالولوج إلى الأنفاق الأربعة السرية التي شرع المستعمر في بنائها وتهيئتها منذ سنة 1957 تاريخ قدوم الفرنسيين إلى مدينة رقان، تمتد هذه الأنفاق على طول 2 كيلومتر في شكل متاهة بمعدل 200 متر تقريبا لكل نفق، استعملت لإجراء الأبحاث والدراسات وكذا مناورات صغيرة للقنبلة النووية استعدادا لإطلاق التجربة الأولى المبرمجة يوم 13 فيفري 1960.

تلك الأنفاق المظلمة التي غزت كثبان الرمال، البعض منها والتي أغلقت مداخلها الرئيسية والثانوية، لها مداخل أخرى مفتوحة ويمكن الدخول إليها بسهولة، مع العلم أن هناك بعض الأنفاق التي قامت فرنسا بغلقها ولا تزال على تلك الحال إلى يومنا هذا ويحذر الخبراء الأجانب منهم والجزائريون من التقرب منها، في وقت لا يعلم فيه أي كان ما تحتويه هذه الأنفاق ويبقى السر قائما في انتظار تدخل السلطات المعنية لفك اللغز.

وتحتوي قاعدة رقان بالإضافة إلى هذه الأنفاق المزودة بقنوات صرف المياه والتي تمت تهيئتها بطريقة تجعلها حارة في فصل الشتاء وباردة في فصل الصيف على مساكن نصبت للعساكر الفرنسيين ومساكن أخرى من الطوب للباحثين القادمين من فرنسا والمختصين في الكيمياء والأبحاث النووية، كما تم تنصيب منازل مشتركة لليد العاملة الجزائرية والإفريقية وعلى رأسها معسكر السنغاليين، جندت في تلك الفترة من أجل العمل تحضيرا لإطلاق القنبلة النووية، ويجد الزائر للقاعدة الجوية برقان محطتين لتصفية المياه القذرة، ميزان ضخم للشاحنات، وبقايا من الأسقف من الأميونت وزجاج قارورات مكسرة متناثرة هنا وهناك.

ولعل ما يشد النظر في تلك البقعة هو وجود مدينة صغيرة بالقرب من القاعدة الجوية تسمى بـ"أزرافيل"، تلتصق بها وهي في شكل واحة تضم حوالي 200 نسمة، بالإضافة إلى امتداد أراضي الاستصلاح الزراعي التي سعت الدولة إلى دعمها بهدف إعادة زرع الحياة بالمنطقة، فيما يؤكد السكان أنها لم تنجح وتم تحويل أموال الدعم عن مسارها واستغلالها لأغراض أخرى، وتبقى بذلك مبرراتهم مشروعة كونهم يرون أن الزراعة غير ناجحة بهذه المناطق بفعل تأثير الإشعاعات النووية التي يؤكد سكان رقان أنها أتت على الأخضر واليابس، لا زراعة تفلح ولا تربية مواشي ممكنة، خاصة وأن السماء لا تكاد تمطر برقان أبدا.

وتجري حاليا عملية تهيئة واسعة على مستوى القاعدة الجوية برقان، حيث يتم تحطيم بعض البنايات القديمة التي أنشأتها فرنسا إبان الحقبة الاستعمارية عندما كانت تحضر لإطلاق القنبلة، واستنادا للشروحات التي تلقيناها بعين المكان، فإن منطقة الترقية التي تضم القاعدة الجوية لم تتعرض إلى تأثير الإشعاعات النووية، حيث أكدت لجنة علمية مختصة خلو الجو من كل الإشعاعات بما يسمح للجميع العيش بطريقة طبيعية، بعد زيارتها المنطقة منذ قرابة سنة قادمة من المحافظة السامية للطاقة النووية المتواجدة في العاصمة وبعد أن أجرت التحاليل اللازمة.

بلوغ نقطة الصفر بالحمودية... تامانقو ، قصة الغول واحتمال وجود قنبلة موقوتة

وفي اليوم الموالي من زيارتنا إلى منطقة رقان كان من المفترض أن نخرج في الصباح الباكر لنشق طريقنا نحو الحمودية، نحو نقطة الصفر أو نحو المجهول، لكن المفاجأة كانت أقوى لأن العجاج "الريح القوية المصحوبة برمال" الذي ثار في ذلك اليوم منعنا من الولوج إلى قلب الصحراء واضطررنا إلى تقضية اليوم في بلدية رقان وكان علينا أن ننتظر توقف الرياح التي تشتهر بها المنطقة خاصة مع قدوم فصل الربيع.

وجاء يوم الجمعة الذي كان يلوح باعتدال في الطقس، الأمر الذي جعلنا نعد العدة للذهاب إلى نقطة الصفر مصحوبين بمصالح الدرك الوطني التابعين للكتيبة الإقليمية لرقان، وفي حدود منتصف النهار وعلى متن سيارات رباعية الدفع انطلقنا نحو الحمودية التي تبعد عن بلدية رقان بحوالي 60 كيلومتر، سلكنا طريق "الوئام المدني" المؤدي إلى ولاية برج باجي مختار التي تبعد عن المنطقة بـ 650 كلم، الطريق في بدايته كان معبدا في وسط أراضي الاستصلاح الفلاحي التي منحتها الدولة للفلاحين الصغار في إطار برنامج إعادة تهيئة المنطقة ودفع عجلة التنمية بها، وبعد قطع مسافة 10 كيلومتر تنتهي الحياة، وينقطع الطريق المعبد لتدخل في صحراء لا آخر لها، أرض فلاة تاركا الطريق المؤدي إلى البرج على اليسار.

الطريق إلى الحمودية كان في السابق ممكنا عبر بساط معبد شقه الفرنسيون يمتد على طول 40 كيلومتر ويوصل حتى نقطة الصفر، أي مكان التفجير النووي الأول، لكن فرنسا وقبيل مغادرتها المكان قامت بتحطيمه حتى لا يتمكن أحد من الوصول إلى تلك النقطة، وعليه فقد اضطررنا إلى أن نسلك طريقا موازيا تارة وأن نمشي على الطريق المحطم تارة أخرى باعتباره معلما يقود إلى الحمودية.

صحراء قاحلة، احمادة من كل صوب وناحية، رمال تتعثر فيها حتى السيارات رباعية الدفع وتجعلك تضيع وقتا للوصل إلى هدفك في لحظة يظن فيها المرء أنه لن ينجو من تلك الرمال التي قد تبتلع كل شيء، وبعد أن قطعنا قرابة 20 كيلومتر تراءت إلى أعيننا بقايا عجلات مفحمة وخزانات مرمية في الصحراء هنا وهناك كنفايات لا يقترب منها أحد، لتتواصل مسيرتنا نحو نقطة الصفر وبعد 40 كلم بلغنا الحمودية التي تعلو هضبة تجعل الزائر لها يرى وكأن الصحراء تقع تحته، هناك لا تزال منازل الفرنسيين وأثار القاعدة التي تم تنصيبها كمركز متقدم من القنبلة التي لم يبق عن مركز تفجيرها سوى 200 كيلومتر.

إن الكارثة كانت عظيمة، فاستنادا لما ذكره البروفيسور عبد الكاظم العبودي مؤلف كتاب "يرابيع رقان: جرائم فرنسا النووية في الصحراء الجزائرية"، فإن التجارب النووية الفرنسية في الجزائر "ليست تجارب عادية.. إنها كارثة نووية.. تصوروا أن التجربة الأولى في 13 فبراير 1960 كانت بقوة تفجيرية تساوي 03 أضعاف قنبلة هيروشيما إلى درجة أن العصف النووي قد دمر الكاميرا التي كانت مبرمجة لالتقاط صور عن التفجير، فاضطرت فرنسا ؟إلى تركيب؟ ؟صور؟ ؟إشهارية؟ ؟عن؟ ؟قنبلة؟ ؟نيومكسيكو؟ ؟الأمريكية؟... !

كما تؤكد بعض المصادر أن فرنسا أجرت أربع تجارب في الهواء برقان و13 تجربة أرضية بتمنراست بين 1960 و1966 وتعد فرنسا بذلك ثالث قوة نووية بعد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي السابق، ويقال إن سلطات الاستعمار الفرنسي استخدمت 42 ألف جزائري "فئران تجارب" في تفجيرها أولى قنابلها النووية في صحراء الجزائر.

تواصلت رحلتنا لنصل بعد أن قطعنا قرابة 52 كيلومتر إلى مكان القنبلة الذي ارتأت السلطات الجزائرية خلال السنوات الأخيرة إلى تسييجه حتى لا يقترب منه أحد، في لحظات من "السوسبنس" حبسنا أنفاسنا ونحن ندخل منطقة لم نكن نسمع عنها إلا أحاديث وأقاويل تفيد بأنها منطقة محرمة لا يجوز حتى الاقتراب منها أو التفكير في ذلك بفعل انتشار الإشعاعات النووية المتناثرة في الأرض والهواء والتي يفترض وفق ما تؤكده الحقائق العلمية أنها تعيش لملايين السنين.

لم نكن مزودين بأجهزة خاصة أو ملابس وقائية، مثلنا مثل السائق الذي اقتادنا إلى تلك النقطة ومثل عناصر الدرك الذين رافقونا من أجل توفير الحماية لنا وتوجيهنا في تلك الصحراء اللا متناهية الأطراف.

وصلنا إلى النصب التذكاري المقام هناك تخليدا للواقعة والذي لا يبعد عن نقطة التفجير إلا بحوالي 300 متر ومن ثم انتقلنا إلى الهرم المزعوم الذي يلقبوه سكان رقان بـ"الغول" كون أنه لم يفتح لحد الساعة ويبقى مصيره مجهولا، فمنهم من يقول بأنه قنبلة نووية موقوتة تركتها فرنسا قبل مغادرتها الجزائر ومنهم من يقول إن الفرنسيين قاموا بردم كل أجهزتهم حتى لا يتوصل إليها الجزائريون، ومباشرة بعد ذلك انتقلنا إلى مكان التفجير الواقع بالقرب من الغول أو الهرم، وهي أرضية سوداء من الحمم كأنها شظايا انفجار تسمى بـ"تامانقو" وهي نقطة الصفر، مشينا عليها والتقطنا هناك صورا لها لتبقى شاهدا على بشاعة الجريمة التي اقترفها الاستعمار الفرنسي على أرض ليست بأرضه، تجارب نووية تتنافى والقيم الإنسانية، تحمل قوة تدميرية تجعل المنطقة

تامانقو نقطة الصفر مكان تفجير أول قنبلة

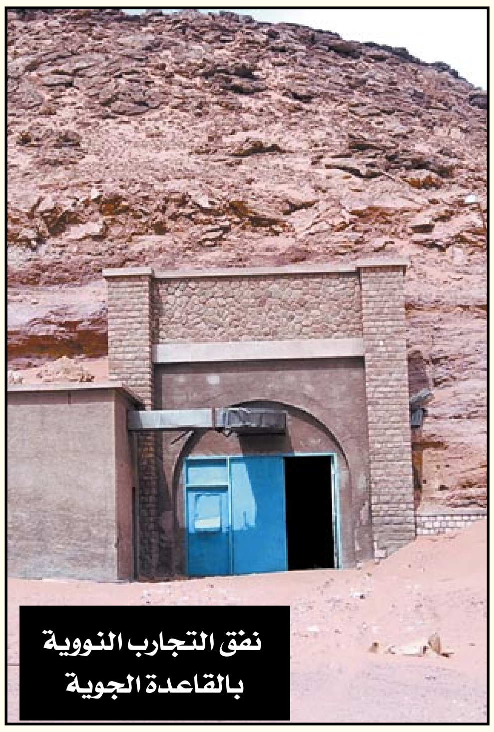

نفق التجارب النووية بالقاعدة الجوية

صحفي "صوت الأحرار" رفقة أحد المسؤولين العسكريين بنفق التجارب

نفايات التجارب النووية مبعثرة في صحراء رقان

محل خطر لملايين العقود، كما أن المكان المسيج بالأسلاك والممتد على مئات الهكتارات لا يكاد يخلو من الخزانات المفحمة المتناثرة هنا وهناك ولا من بقايا أجهزة ميكانيكية والكترونية على حد سواء، يفترض أنها كانت تستعمل في التجارب، وبهدف حماية المواطنين الذين يضطرون إلى عبور الصحراء في كل وقت وحين كون صحراء رقان تعد مركز عبور مهم جدا فهي تربط بين المالي وموريطانيا كدولتين حدوديتين مع رقان التابعة لولاية أدرار، فقد اكتفت السلطات المعنية بتعليق إشارة ״حذاري.. خطر الموت״ على الأسلاك المحيطة من كل ناحية بمكان التفجير، الذي نجد به خطا طويلا من الاسمنت المسلح في شكل نفق مغلق مغطى برمال الصحراء يمتد على طول 100 متر تقريبا.

أما خارج الأسلاك، فيجد السائح صحراء ممتدة نحو اللا نهاية، في رحلة البحث والتقصي التي قطعنا خلالها مسافات طويلة في تلك الأرض الفلاة، لم نعثر على الصناديق التي وضعت فيها فرنسا الحيوانات من ماعز وأرانب بالقرب من مركز التفجير لرؤية مدى تأثير التفجيرات عليها، وبالمقابل وجدنا ثلاث بنايات غمرتها الرمال يفترض أن تكون أنفاقا لا تزال مغلقة لحد اليوم ولم يتجرأ أي شخص على فتحها أو استكشافها.

في تلك الرحلة لم نكن نبعد عن الحدود الموريتانية إلا بـ 300 كيلومتر، ولعل ما يشد الانتباه في تلك البقاع من الأرض هو الأجهزة أو بالأحرى بقايا الأجهزة المتناثرة في الصحراء، مراكز للكهرباء، أعمدة كهرباء محطمة ومصفوفة على امتداد حوالي ثلاثة كيلومترات أو أكثر بخيوط كهربائية ملقاة على الأرض، بالفعل يتأكد لدى الملاحظ أن الفرنسيين وبعد أن زرعوا الحياة في تلك المناطق بهدف إجراء تجاربهم النووية قاموا بتدمير كل شيء وردم كل أثر حتى لا يتسنى لمن يأتي بعدهم أن يكتشف أي شيء.

وتبقى صحراجؤنا التي تحمل النفايات النووية من أجهزة وعتاد متلف، قاطرات وخطوط ومسالك لمرور القاطرات المحملة بالحجارة ووسائل العمل، أسلحة في شكل صواريخ صغيرة، حتى علب الأكل التي تحمل علامة ״مصنوع في فرنسا״ كانت موجودة بعد أن أكلها الصدأ مزبلة كبيرة لهذه النفايات النووية، من ثم وعملا بالنصيحة التي ترددت على مسامعنا قبل الدخول إلى تلك المناطق بأن لا نلمس أي شيء، باعتبار أن البقعة كلها تحمل إشعاعات نووية، عدنا أدراجنا، لنحط الرحال مجددا في بلدية رقان وتنتهي رحلتنا التي قادتنا نحو نقطة الصفر.

شهود عيان يروون ما حدث يوم 13 فيفري

خلال الزيارة الميدانية التي قادتنا إلى قلب المدينة التقينا بالشاهد عبلة عبد الله المدعو لوليد الذي تنقلنا إلى رؤيته في منزله، بكرمه كعادة أهل بلدته استضافنا السيد عبلة الذي يعاني في الوقت الراهن من مرض العيون اضطره لإجراء عملية جراحية بتلمسان لم يشف منها بعد، ومن دون تردد راح الرجل يروي قصة ذلك اليوم، أي 13 فيفري من عام 1960، ليؤكد لنا بأن الفرنسيين جاؤوا إلى المنطقة بداية من 10 أوت 1957، حينها كنت بطالا ولا أجد ما أشتغل فيه، ولما جاء الفرنسيون إلى المنطقة فتحوا لنا أبواب التوظيف وكانوا يعطونني راتبا يوميا بقيمة 300 فرنك، كنت أعمل في البناء والتشييد ، لم يكن هناك كهرباء والإضاءة كانت منعدمة، لكن بالمقابل الأشغال التي جاءت من أجلها فرنسا انطلقت بقوة، حيث تم إنشاء المطار، وقاموا بحفر الأنفاق وشقوا الطرقات توجها نحو الحمودية التي ستشهد فيما بعد التفجير النووي الأول.

الشاهد عبلة من مواليد 1938 لا يزال يتذكر ذلك اليوم ويقول إنه لا يوجد من كان يعلم بنوايا فرنسا، كنا نعمل ونشتغل وفقط وجاء يوم 13 فيفري، في ذلك اليوم طلب منا المسؤولون الكبار في الجيش الفرنسي بأن نعلق قلادات من بلاستيك وحديد وهددونا إن نحن نزعناها من على صدرونا فإن مصيرنا سيكون الحبس لا محالة، كما طلبوا من الخروج باكرا إلى العراء والتجمع هناك لأن هناك انفجار سيقع وقالوا لنا انبطحوا في الأرض ولا تفتحوا عيونكم.

وفي حدود الساعة السابعة صباحا وفي وقت يتلاقى فيه الليل مع النهار من ذلك اليوم نفذت فرنسا جريمتها وحدث الانفجار، حينها شعرنا بضوء يخطف الأبصار وما أن حاولنا القيام حتى اهتزت الأرض من تحت أرجلنا ولم نكن لنرى إلا الغبار في الهواء ومنذ ذلك الحين وأنا أعاني من مرض العيون وأجريت العديد من العمليات الجراحية لكن دون جدوى.

قالوا لنا افتحوا الأبواب والنوافذ، الغبار بقي طوال اليوم والقنبلة أثارت عجاجا كبيرا في المنطقة، هناك منازل تشققت، الفرنسيون كانوا يأخذون المتضررين لمتابعة تأثيرات التفجير على السكان، وفي نفس اليوم استعادوا القلادات التي منحونا إياها قبل التفجير، وبالرغم من أن فرنسا قامت بتجارب أخرى إلا أن ذلك التفجير يبقى الأقوى والأعنف في رأيي.

بدوره الشاهد بوعلالي علي المدعو باديدي لم يتردد في أن يروي قصة ذلك اليوم الذي فضل أن يسميه بـ״النهار الأسود״، لأنه يبقى في مخيلته محملا بالذكريات الصعبة التي لا تزال تصاحبه في نومه ويقظته، في تلك الفترة يقول الشاهد:״كنت أعمل مع أول الفرنسيين الذين قدموا إلى المنطقة، يذكر العقيد دشي شيشو، الرائد تورنو، الرائد سولوغيه، الرائد لابروس والملازم الأول قسييه، لقد جاؤوا في سنة 1957 وبقوا يحضرون للتفجير الذي قاموا به سنة 1960، في تلك الفترة كنت أعمل كحارس وأتنقل معهم على مستوى القصور المتواجدة بالمنطقة، كانت التحضيرات كبيرة ليوم 13 فيفري في وقت لم نكن نعلم فيه ما الذي سيحدث؟، إنشاء القاعدة الجوية، آلات تحفر وأخرى تبني، عبدوا الطريق نحو الحمودية، أقاموا بنايات فوق الأرض وتحتها، لقد قاموا بأربع تجارب لكننا لم نشاهد إلا ثلاثا منها، ويوم الانفجار تم إعلامنا بأن هناك قنبلة ستنفجر، وأعطوا قلادات للجزائريين الذين كانوا موظفين معهم في القاعدة وطلبوا منا أن نخرج من منازلنا وأن نترك الأبواب والنوافذ مفتوحة.

باديدي يؤكد أنه كان يحمل تلك القلادة التي تم استعادتها منه في اليوم ذاته، وعند الانفجار يقول إنه رأى ضوء أزرقا يخطف الأبصار، دخان أسود يتصاعد في السماء، هناك منازل تشققت، نساء أجهضن، لا تكاد ترى من هو أمامك من شدة الغبار المتناثر في الهواء والذي بقي حتى منتصف النهار، كنا نسمع فقط دوي الطائرات وهي تحلق من فوق رؤوسنا، يقولون إن قنبلة رقان هي أقوى بأضعاف مضاعفة من انفجارات هيروشيما وناغازاكي.

فرنسا ومع خروجها من الجزائر قامت بردم كل الآلات والمعدات التي استعملتها في رقان وتركت لنا الهرم الذي يسميه أهل رقان اليوم بـ״الغول״، ويبقى أننا نتمنى أن تقوم السلطات الجزائرية بردم هذا الهرم بعد الكشف عن سره الخفي.

أما الشاهد بلحسن المدعو با الحاج، فقد أكد لنا أنه كان موجودا يوم انفجار القنبلة، وأنه كان يعمل مع الفرنسيين في المشروع، حيث إنه كان مكلفا بصيانة العتاد، قال إنه عمل في القاعدة الجوية لرقان الموجودة بالترقية وكذلك في مستشفى القاعدة المتواجد بقلب المدينة، كما اشتغل بالحمودية باعتبار أنه شارك في تعبيد الطريق المؤدية إليها.

با الحاج قال إنه لم يكن لا هو ولا حتى الفرنسيون العاملون في المشروع على دراية بالقنبلة النووية، وكنا نلاحظ فقط ما يحدث بعد أن جلب الفرنسيون العتاد والطائرات وغيرها من الأجهزة التي لم يرى لها مثيل في تلك الفترة، ويوم الانفجار كان هناك قبطان يدعى ميكلو – قتله المجاهدون بعدها ببلدية تيميمون– أعطى أوامر للسكان بأن يخرجوا إلى العراء، حينها كنت في الكتيبة الرابعة للجيش الفرنسي، ويوم 12 فيفري 1960 أعطونا تلك القلادات التي تقيس الإشعاعات لكننا لم نكن نعلم ذلك وبعد الانفجار الذي حدث في اليوم الموالي استرجعوها منا، كما أعطونا أقنعة وبدلات بيضاء وكانوا يراقبوننا في الصباح والمساء.

خزانات من الزفت استعملت بالقاعدة الجوية

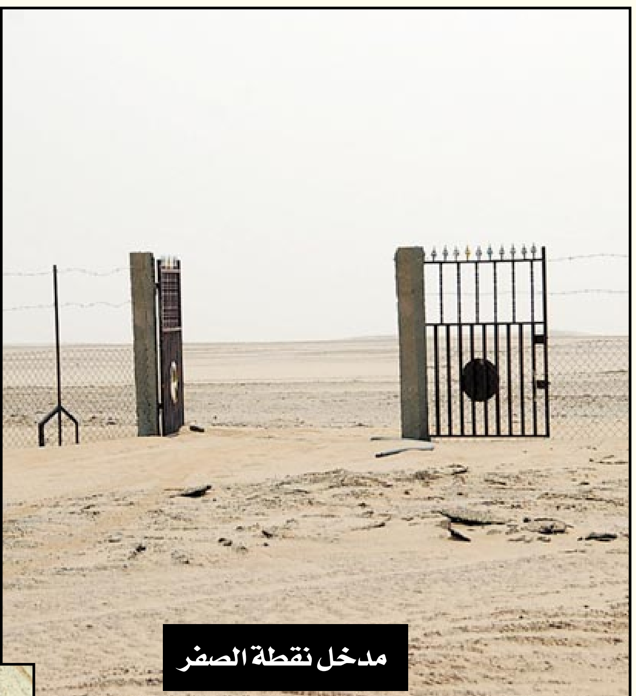
مدخل نقطة الصفر

يوم 13 فيفري يبقى في نظر هذا الشاهد يوم حزن، يوم رعب ويوما أسودا في الوقت ذاته، كنا نظن أننا سنموت جميعا، هكذا يقول با الحاج، الدخان كان أسودا، أزرقا وكنا نرى كل الألوان، وبعد مرور شهر بدأنا نحس بالخطر، بدأت رائحة الغبار تصل إلى المدينة وهي التي أضرت بالفلاحة وقتلت الماشية التي لم نتمكن من إعادتها إلى يومنا هذا.

والغريب في جميع الشهادات التي أخذناها من أفواه هؤلاء الأشخاص الذين عايشوا ذلك اليوم وتلك الفترة ككل هو خبر زيارة الرئيسي الفرنسي آنذاك شارل ديغول للمنطقة عشية الانفجار أي مساء 13 فيفري 1960، يقال إن هناك جندي رآه وهو يزور المنطقة خفية، لكن لا توجد أي أدلة تؤكد ذلك.

شبح السرطان يهدد سكان رقان والأطباء يدقون ناقوس الخطر

خلال اللقاء الذي جمعنا بالطبيب العام أوسيدهم مصطفى الموظف بالمؤسسة العمومية الاستشفائية لرقان منذ 18 سنة، تحدث الدكتور مطولا عن التجارب النووية التي شهدتها المنطقة وعن التأثير السريع والمباشر لهذه التجارب، بالإضافة إلى التأثير السلبي لهذه الإشعاعات النووية على صحة الإنسان وسلامة الطبيعة بصفة عامة، ومن هذا المنطلق لم يتردد الدكتور في التساؤل عن مدى هذه التأثيرات على سكان المنطقة، الأمر الذي يبقى مجهولا لحد الساعة بسبب غياب دراسات علمية حول الحادثة.

الدكتور تحدث كذلك عن نقص الإمكانيات المتعلقة بوسائل تشخيص الأمراض ومختلف الحالات السرطانية التي تعرفها المنطقة والتي يبقى سببها مجهول لحد الساعة، لأنه من الصعب ربط الإصابة بالسرطان بالإشعاعات النووية خاصة وأن الدراسة غير موجودة ولم تنجز بعد، مستشفى رقان يعمل منذ سنة 1985، هجره جل الأطباء الذين قدموا من الشمال في ظل غياب أدنى التحفيزات مقابل قساوة الحياة وانعدام شروط العيش في طبيعة صحراوية قاسية، كما أن هذا المستشفى يفتقد لوسائل التشخيص مثل ″السكانير″ فلا يكاد يوجد إلا واحدا بمستشفى أدرار لم يؤت به إلى المنطقة إلا مؤخرا.

سكان رقان يعانون من مرض السرطان بمختلف أنواعه، رئة، كبد، ثدي ودم، بالإضافة إلى ارتفاع ضغط الدم بسبب ملوحة المياه الصالحة للشرب، السكري، مرض الربو، وحسب الإحصائيات التي تحدث عنها الدكتور، فقد تم تسجيل 12 حالة سرطان سنة 2008 فيما تبقى حالات لم تتلق المصلحة الاستشفائية برقان الرد عليها بعد أن بعث بها إلى العاصمة للتأكد من وضعيتها، مع تسجيل بعض الحالات المتعلقة بالوفيات في ظل انعدام عديد التخصصات الطبية، مما يدفع بسكان رقان إلى قطع مسافات خيالية قد تصل في بعض الأحيان إلى 900 كيلومتر من أجل استشارة طبيب اختصاصي.

ويبقى في رأي الدكتور أنه من الصعب الربط بين الإشعاعات النووية وتأثيرها وبين ما يحدث في المنطقة، لكن الأكيد هو انتشار أمراض العيون خاصة في الفترات المعروفة بهبوب الرياح القوية، تراجع إنتاج النخيل بالمنطقة والمنتوج الفلاحي عموما وكذا تدهور صحة المواطنين القاطنين بهذه الأماكن، فلا أحد ينكر أن هناك حالات إجهاض وأن هناك أطفال يولدون بإعاقات جسدية وذهنية في غموض تام لم نكشف عن أسبابه ولم نحاول تفسيره، ويذكر الدكتور أوسيدهم أحد الجزائريين كان يعمل مع الفريق الفرنسي مع نهاية الخمسينات بالقاعدة الجوية لرقان، قال إنه أصيب بالسرطان وتوفي هو وابنيه الاثنين اللذين ولدا بإعاقات جسدية.

جمعية 13 فيفري: "لا يهمنا اعتذار فرنسا بقدر ما نطالب الدولة الجزائرية بالتدخل"

نفى رئيس جمعية 13 فيفري الهامل عمر الإشاعات المتداولة برقان حول ما أكده بعض الشهود العيان عن وجود قنبلة نووية لم تفجر بعد في الحمودية وذلك لأنها لا تزال موجودة بالقرب من موقع الانفجار وتبعد عنه بحوالي 300 متر وهي في شكل هرم من الاسمنت المسلح.

ويؤكد الهامل عمر أن كل ما في الأمر هو أجهزة وعتاد استعمله الاستعمار الفرنسي خلال فترة التجارب النووية وتم ردمه حتى لا يتمكن أي كان من الوصول إليه، وقال إن السعيد عبادو الأمين العام لمنظمة المجاهدين قد صعد عليه سنة 1998 عندما كان وزيرا للمجاهدين وذلك خلال الزيارة الميدانية التي قام بها إلى بلدية رقان حينها، ويقول الهامل أنه أول مرة زار تلك البناية كان سنة 1996، كما أكد أن فرنسا أخذت كل التسجيلات والأجهزة الصالحة ولا يمكن لذلك الهرم أن يكون إلا نفايات.

ولعل ما نعيبه نحن على السلطات الجزائرية –يردد رئيس

صاروخ صغير مرمي بالقرب من نقطة الصفر

الجمعية– هو أنها لم تحرك ساكنا إلى حد الساعة من أجل تطهير المنطقة من الإشعاعات النووية، إن الزائر لتلك البقعة يتهيأ له وكأنك أخذت كمية كبيرة من الطين ورميت بها في الهواء لتقع مبعثرة هنا وهناك، مثلها مثل الحمم البركانية التي نراها تخرج من الجبال، بقايا الانفجار موجودة ولا أحد بإمكانه أن ينكرها ولا حتى فرنسا نفسها.

إن دعوتنا اليوم قائمة وستبقى كذلك، فنحن ندعو الباحثين الجزائريين لإعداد دراسات دقيقة حول الوضع بمكان التفجير عن طريق تشخيص درجة الخطورة وقوة الضرر والعواقب المترتبة عن هذه التفجيرات، كما ندعو الكتاب الجزائريين إلى إعداد قصص قصيرة موجهة للأطفال بهدف تعريفهم بالوقائع والملابسات المحيطة بهذه الحادثة التي تبقى جزء لا يتجزأ من الذاكرة الوطنية لكل الجزائريين.

مطالبنا تتلخص كذلك في التنسيق مع مختلف الجمعيات التاريخية بغرض توحيد الجهود وحصر جرائم الاستعمار الفرنسي وتوثيقها وتدوينها لإعداد ملف يكون بمثابة ورقة ضغط على فرنسا، ونطالب كذلك باقتناء الأرشيف الخاص بالتفجيرات التي شهدتها منطقة رقان وفي الأخير يأتي المطلب المتعلق بالاعتراف والاعتذار.

إن من آثار هذه الجريمة النكراء التي لا يمكن لأحد أن ينكرها في الوقت الراهن هي تلك النتائج الفورية للتفجير كالإجهاض وغيرها من الكوارث الصحية فالسرطان لم يكن موجود في المنطقة، في وقت يعلم فيه الجميع أن فرنسا لم تترك أي سجل صحي بالجزائر، مع العلم أنها قامت بفحص سكان المنطقة بعد التفجيرات للتأكد من درجة ونوعية التأثيرات الصحية التي تصاحب الانفجار.

وفي محاولة لاستدراك الوضع –يقول الهامل– قررنا إنشاء جمعية 13 فيفري سنة 1996 في وقت كان فيه وفي فترة معينة من تاريخ الجزائر المستقلة من المحرم الحديث عن التجارب النووية التي جرت برقان، ومن خلال نشاط هذه الجمعية اقترحنا جمع الشهادات المتعلقة بالواقعة خاصة من أفواه الشهود العيان الذين عايشوا تلك الفترة.

وحاليا تجدنا كل سنة نخرج لافتة سوداء تدين هذا الاعتداء النووي ونعلقها بساحة المدينة، بالإضافة إلى النصب التذكاري المنصب في قلب رقان، كما نقوم بتجنيد الكشافة الإسلامية، لقد قمنا بكل المحاولات لكن عبثا تحاول، نحن في انتظار موقف الحكومة الجزائرية قبل فرنسا، لأن تكفل الجزائر بالكارثة أولى على غرار ما فعلته فرنسا مع الفرنسيين الذين راحوا ضحايا هذه التفجيرات.

واستطرد رئيس الجمعية موضحا ″لا يوجد ما يؤكد أن فرنسا استعملت أشخاصا في التجربة، بالرغم من أن بعض المصادر تقول أن المستعمر استعمل 400 سجين وحيوانات، بهدف الإطلاع على تأثيرات التفجيرات، حيث أن العساكر الفرنسيين منحوا الجزائريين قلادات يوم الانفجار وطلبوا منهم أن يلبسوها وتم استرجاعها في اليوم ذاته أي مباشرة بعد الانفجار″.

لم يتم إعداد أي دراسة حول تأثير الإشعاعات على صحراء رقان لحد الساعة

من جهتها أكدت الآنسة رقية طاهيري المنسقة الولائية للجمعية الوطنية لحماية البيئة ومكافحة التلوث بولاية أدرار، أنها تنشط في إطار العمل الجمعوي منذ سنة 1999، حيث يعكف أعضاء هذه الجمعية على إعداد معارض تحسيسية على مستوى ولاية أدرار من خلال إعداد ملصقات جدارية، صور وكتب حول تاريخ التجارب النووية، آثارها وانعكاساتها الحالية.

ولم تتردد الآنسة رقية في الحديث عن مطالب أهل المنطقة المتضررين بفعل التجارب النووية، حيث أشارت إلى ضرورة إيفاد لجان متخصصة للتأكد من تأثيرات هذه التجارب على صحة السكان وعلى نشاطهم الزراعي، وقالت في هذا السياق ″نود معرفة تأثير الإشعاعات في الجو، التربة وحتى في الماء، خاصة وأن المنطقة معروفة بكثرة الرياح التي تساهم في نقل الإشعاعات النووية في وقت نجهل فيه المساحة الحقيقة التي طالتها هذه الإشعاعات″.

وأكدت المتحدثة أن سكان المنطقة لا ينتظرون اعتراف فرنسا أو اعتذارها بقدر ما يطالبون الدولة الجزائرية بالتكفل بمشاكلهم عن طريق إنشاء مستشفيات متخصصة وإعداد دراسات دقيقة لتحديد المخاطر التي تحدق بالمنطقة ككل.

كما تأسفت رقية طاهيري لكون إحياء ذكرى التفجيرات لا سيما خلال السنوات الأخيرة أصبح مقتصرا على تجمعات وتظاهرات عابرة، يجتر فيها الكلام عن تاريخ التفجيرات النووية دون أن تجنى منها فائدة عملية تساهم في تحسين الوضع المعيشي لسكان رقان.

نفس المقاربة أكدها الأمين العام للغرفة الفلاحية بأدرار السيد حمدو عبد القادر الذي أكد غياب دراسة علمية دقيقة حول تأثيرات

قاطرات مرمية في الصحراء

الإشعاعات النووية على المنطقة، في حين نجد أن الواقع المعاش يثبت أن المحاصيل الفلاحية في تراجع مستمر سواء تعلق الأمر بالطماطم التي أصبحت تعاني من مرض غريب بعثنا به إلى العاصمة لتحديد نوعيته أو التمور التي أصبحت تعاني من مرض البلع.

سكان رقان وهاجس التجارب النووية

في وسط هذا الكم المتراكم من القصص والأحاديث حول التجارب النووية برقان، حول ما صح منها وما بطل، تبقى حادثة القنبلة النووية هاجسا لا يكاد يفارق خيال الرقانيين، في حديثهم وسيرهم، صحوتهم ونومهم، يذكرون ما حدث ويقصون على المقيم والقادم إلى مدينتهم هول ذلك اليوم، حتى في مزحاتهم يقولون ″ما قتلهمش النووي راك حاب الميزرية تقتلهم″.

وبالرغم من بساطة الحياة والفقر المدقع الذي يعاني منه أغلب سكان هذه المنطقة، تجدهم بسطاء في حديثهم، لا يتكلفون في شيء، الأمور عندهم تسري بطريقة طبيعة، كرمهم يصنع عظمتهم في وقت لا يكادون يملكون فيه ما يسد رمقهم، بطالة، وغيرها من المشاكل الاجتماعية، مقابل صبر وجلد لا مثيل له في صحراء قد تضيق على غيرها أو لغير أبنائها.

مطالبهم بسيطة ولا يتطلعون إلا لحياة أفضل بإمكانيات قليلة تضمن لهم معيشة كريمة، يطالبون الجزائر أمهم بأن تمنحهم قليلا من الاهتمام، التكفل بمشاغلهم، بناء مرافق عمومية، مستشفيات لمعالجة المرضى، خاصة أولئك المتضررين من فعل التجارب النووية، أملهم في الغد كبير ولا ينوون تحت أي طارئ مغادرة رقان التي تعبر عن هويتهم وانتماءهم لصحراء صنعت منهم رجالا ونساء رغم أنهم واعون كل الوعي بخطورة العيش في منطقة مهددة بالإشعاعات النووية، خطر الإصابة بإعاقة أو إنجاب أبناء معاقين، هو مصير مجهول، هي مخاطر محتملة تشغل بالهم ليل نهار ولكنها في الوقت ذاته لا تخيفهم، لأنها أصبحت جزء من واقعهم، ورهانا من أجل الحياة قرروا كسبه مهما كان الثمن.